

علاقات الشيعة الإمامية والمعتزلة في بغداد في القرنين الرابع والخامس

الهجريين

د. قاسم شهري

د. علي السلمي

د. رضا عرب البافрани

الملخص: كانت بين الشيعة والمعتزلة علاقات ومطارحات وحوارات ونزاعات كثيرة، وقد شاهدت بغداد بوصفها عاصمة الحكومة العباسية آنذاك ارتباطات ومشاجرات ومطارحات وأبحاث ونزاعات فكرية ملحوظة بين الفرق الإسلامية. وقد انتهت هذه الحوارات الكلامية المفتوحة - التي استمرت خلال القرنين الرابع والخامس في بغداد بين الشيعة والمعتزلة والحنابلة وأهل الحديث خاصة مع تصدي البويهيين (٣٢٢ - ٤٤٨ ق) للحكم - إلى صالح الشيعة، وأفضى الأمر إلى انخراط الفكر المعتزلي تحت مظلة الفكر الشيعي.

وعلى هذا الصعيد كانت حوارات الشيخ المفيد (م ٤١٣ ق) والسيد المرتضى (م ٤٣٦ ق) والشيخ الطوسي (م ٤٦٠ ق) مع المعتزلة تلعب دوراً أساسياً في تاريخ الفكر الإسلامي وثقافته العلمية.

ويصبح الموضوع أكثر أهمية حينما نأخذ البيئة فيه بنظر الاعتبار، وهذا يعني أنّ هذه الحوارات والمؤثرات والمتأثرات تحققت آنذاك في عاصمة الرقعة الإسلامية الواسعة بغداد. وكان من أكثر القضايا نقاشاً بين علماء الشيعة والمعتزلة هو بحث الإمامة. والمقالة التي بين أيدينا تدرس الأجواء الفكرية في بغداد بين القرنين الرابع والخامس من الهجرة.

الكلمات المفتاحية: بغداد؛ القرن الرابع والخامس؛ السيد المرتضى؛ الشيخ المفيد؛ الشيخ الطوسي؛ الإمامية؛ المعتزلة.

١. دكتوراه كلاً م الإمامية، باحث ومدرس في الجامعة Danesh.hamrah@gmail.com

٢. عضو الهيئة العلمية في الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد المقدسة.

٣. عضو الهيئة العلمية في الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد المقدسة.

المقدمة

تزامن النصف الأول من القرن الرابع مع السنوات الأولى للغيبة الكبرى (٣٢٩ هـ)، ودخول الشيعة إلى تجربة جديدة في حياتهم الفكرية السياسية، وبروز كبار الشخصيات الشيعية أمثال الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي إلى مجال الحفاظ على التعاليم الشيعية وصيانتها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تزامن ذلك مع عهد البويهيين وحكمهم على مساحات واسعة من الدولة الإسلامية.

وقد كانت بغداد - بوصفها عاصمة الدولة الإسلامية - أهم مدينة تميّزت بظهور التقارب والتباعد بين المذاهب الإسلامية؛ لأنها كانت ذات أبعاد سياسية وثقافية ودينية واجتماعية واقتصادية بارزة، وكانت نموذجاً لمدينة أخرى وفاعلة على مستوى العلاقات والمفارقات الطائفية فيها، فشاعت المناقشات الفكرية العقلانية متأثرة بالتيارات السياسية بين العلماء، وكانت كتابة الانتقادات للمكتوبات والأفكار المتنافسة أو دحض بعض الاتهامات الراجحة في المجتمع خطوة هامة في هذا الاتجاه. (باراني، ١٣٩٢ ش، ٢).

وفي هذا المجال، تنافس الحنابلة والأشعريون والمعتزلة والإمامية بضراوة مع بعضهم البعض، وكان الحنابلة والإمامية أكثر حضوراً وجدية، والمعتزلة أكثر نشاطاً في البداية، لكن بعد ذلك، وخاصة في بداية القرن الخامس، كادوا أن يغادروا المشهد، وأصدر الخليفة أوامر صارمة بشأنهم. (باراني، ١٣٩٢ ش، ٦٥-٦٤)، وفي هذه الفترة، كان تفاعل المعتزلة مع الإمامية مهماً جداً؛ لأنّ مكانة علماء الإمامية كانت جيّدة، كما اكتسبت حكومات شيعية أخرى السلطة في أجزاء أخرى من الأراضي الإسلامية، مما وقر أرضية مناسبة لانتشار التشيع. (كرمر، ١٣٧٥ ش، ٧٦)

تركت ملابسات المعتزلة التاريخية نقاشات كثيرةً بين العلماء (النشّار، ١٤٢٩ هـ، ١/٤٢٥)، ولكن مما لا يشك فيه أن الشيعة أقدم من المعتزلة في جذورها تاريخياً. ويعدّ ظهور مدرسة المعتزلة وتأسيسها وامتداد تعاليمها ومبانيها الفكرية حدث من الأحداث التاريخية المصرية في تاريخ الفكر الإسلامي. وهذه المدرسة الفكرية التي ظهرت من خلال النزاعات السياسية والعقائدية في القرن الأول والسنوات الأولى من القرن الثاني خلّفت أثراً بالغاً على أساس الفكرة الإسلامية واستمرارها في العالم الإسلامي، حيث إنّه بعد مضيّ القرن الخامس وعلى رغم أفول نجمها الطالع لم يتمكن مفكرو النحل المختلفة أن يتنحّوا جانباً من تعاليمهم أبداً. وترك أصحاب الرؤى من مدرسة الاعتزال

شمعة العقل مشتعلة وجابهوا الخرافات والمعتقدات الجبرية التي تغاير الاختيار وإرادة الإنسان، وذلك من خلال تشييد الأسس النظرية للحضارة الإسلامية ما بين القرن الثاني حتى الخامس الهجري، وكان لهم النصيب الأوفر على هذا الصعيد.

ولا يمكن أن نعدّ تلاقي مرحلة نمو الحضارة الإسلامية وازدهارها في مرحلة انتشار تعاليم المعتزلة حدثاً وقع صدفة، ونتجاهل أثر المبادئ النظرية لحركة المعتزلة في رقي الحضارة الإسلامية، فقد ترك أقول نجم هذه الحركة الأثر البالغ على الحضارة الإسلامية، حيث يعتقد أحمد أمين أنّ من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة، وعلى أنفسهم جنوا؛ (أمين، ١٤/٣) لأنهم كانوا يريدون الكفاح في سبيل الحرية، ولكن في مرحلة سلطتهم وقوّتهم ما كانوا يحترمون حرية التعبير وإبداء الرأي للذين لم ينخرطوا في سلك مذهبهم. (الفخوري، ١٣٦٧ ش، ١/١٦٥)

ومن أهم أسباب الارتباط بين الإمامية والمعتزلة: ميل بعض المعتزلة نحو الشيعة، والخلفية التاريخية للعلاقات مع الشيعة، وسياق الوحدة السياسية، والحاجة المشتركة أمام أهل الحديث، وتقريب المعتقدات، والمكانة الاجتماعية لعلماء الإمامية. كان لهذا الارتباط آثار على الجانبين، وهي: انتشار العقلانية بين الإمامية، وأهم الاعتزال لبعض علماء الشيعة، وانتشار الاعتزال في مختلف المناطق، والمكانة الاجتماعية والسياسية للمعتزلة. (باراني، ١٣٩٢ ش، ١٤٤-١٥٠)

وأحد الجوانب التي تربط بين الشيعة والمعتزلة، هو الارتباط الكلامي، فقد كان هناك التأثير والتأثر في بعض القضايا بين الشيعة والمعتزلة؛ وذلك من أجل وجود الوشائج المشتركة التي تحققت في بعض المراحل بينهما، أو من أجل توفر الرغبات الشديدة الشيعية في نفوس بعض المعتزلة، وكان من الممكن أن يخلف هذا التأثير والتأثر مظاهر متعددة من قبل الطرفين. (جعفریان، ١٣٧٢ ش، ١٠)، والمشاركة في المحافل العلمية هي التي أجبرت المعتزلة على مجابهة مخالفيها، وإنما جعلت مجابهة المخالفين لأفكارها هدفها الرئيس في نشاطاتها. قال أبو الفرج الأصبهاني: إنّ بالبصرة ستة من أصحاب الكلام: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وبشار الأعمى، وصالح بن عبد القدوس، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، ورجل من الأزدي، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدي ويختصمون عنده. فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال، وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة (أي صارا من العامة)، وأما بشار فبقي متحيراً مخلطاً، وأما الأزدي فمال إلى قول السميّنة، وهو مذهب من مذاهب الهند. (الأصفهاني، ١٠٣/٣)

وبشكل عام يمكن تقسيم الوشائج والعلاقات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والعلمية بين

المعتزلة والشيعة إلى ثلاث مراحل:

١. مرحلة العداوة والخلاف: وذلك أنه حينما تقابلت الشيعة والخوارج أخذت المعتزلة النمط الوسط، ولم تؤيد جماعة منهما.
٢. مرحلة الصداقة والتصافي: حيث ظهرت وقويت من خلال علاقة المعتزلة بالزيدية من جهة، وعلاقتهم ببغداد وظهور المعتزلة المنتشعة من جهة أخرى. هذه العلاقة من المنظار السياسي أيضاً ظهرت صورتها في شخصية المأمون، وبعد فترة في الصحاب بن عباد. وفي هذه المرحلة امتد التأثير والتأثر كثيراً بين هذين الفرقتين. ونهاية هذه المرحلة وأقصاها ظهور شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة.
٣. مرحلة انصهار الاعتزال في التشيع: لا يوجد من القرن السابع الهجري وما بعده أحد من المعتزلة. فقبل قرنين من السابع الهجري التحق جمع غفير من المعتزلة إما في سلك الزيدية وإما في سلك الإمامية. وفي هذه المرحلة لم نلاحظ أثراً يُذكر للمعتزلة مع أنهم لم تكن عليهم أية ضغوط سياسية من قبل الإيلخانية.

وقد انتهى الواقع الخارجي لهذه العلاقات إلى صالح الشيعة وإن لم تكن الشيعة بمعزل عن تأثير كلام المعتزلة، فأصبحت الشيعة الوارث للفكر العقلي في الإسلام. (جعفران، ١٣٧٢ ش، ١١-١٢) فإن ابن الرواندي، وأبا عيسى الوراق، ومحمد بن عبدالله بن مملك، ومحمد بن عبد الملك بن تبان، وابن قبة الرازي من علماء المعتزلة الذين انخرطوا في الشيعة الإمامية. (انظر: الطوسي، ١٤١٧هـ، ٢٠٧، ٢٨٢؛ النجاشي، ١٤١٦هـ، ٣٧٥، ٤٠٣؛ السيد المرتضى، ١٤١٠هـ، ٨٩/١؛ ابن داود، ١٣٩٢هـ، ١٧٧؛ العلامة الحلي، ١٤١٧هـ، ٢٠٥ و ٢٧٠) وهناك عدد كثير عرفوا باسم الشيعي المعتزلي في القرن الرابع وما بعده، فعلى سبيل المثال: أبو القاسم التنوخي عرف بأنه كان شيعياً معتزلياً. (الذهبي، ١٣٨٢هـ، ٥١٢/٣؛ الذهبي، ١٤٠٦هـ، ١٧/٦٥٠)

وذكر أيضاً في محمد بن وشاح الزيني أن فيه رفضاً، وقيل في علي بن عيسى الرماني: إنه معتزلي رافضي، وذكر: من حدود سبعين وثلاثمائة إلى زماننا هذا تصادق الرفض والاعتزال وتواخيهم. (الذهبي، ١٣٨٢هـ، ١٤٩/٣؛ ابن حجر، ١٣٩٠هـ، ٤/٢٤٨)

معتزلة البصرة في عصر عبد الجبار

كان أبو علي وأبو هاشم الجبائي والقاضي عبد الجبار من شخصيات المعتزلة اللامعة في البصرة، وبهؤلاء الرجال عاد نمو مدرسة الاعتزال عاد نموها من جديد بعدما أصابها في فترة ما شيء من الفتور والضعف. ويعد هذا الجيل آخر جيل دافع عن مبادئ الاعتزال الخاصة، وكانوا متأثرين بالشيعة

مقداراً قليلاً، وإن كان بعض تلامذتهم - ولاسيما عبد الجبار - من الشيعة الزيدية. (جعفران، ١٣٧٢ش، ١١٣) ومن السمات البارزة لعبد الجبار هو أنه شكّل آخر حلقة تدريس ورسم صورة الاعتزال الخاصة، ولكن بعد عبد الجبار أصبح بعض الشيعة من تلامذة المعتزلة، ولهذا، يعود تاريخ نشأة كبار علماء الاعتزال إلى القاضي عبد الجبار. (محمد السيد، ١٩٩٨م، ١٢-١٣) وهو من أهم الشخصيات المرموقة الذي أخذ منه الشريف المرتضى، وأخذ منه كثير من كبار الزيدية والشيعة الإمامية (ابن المرتضى، ١٤٠٩ ق، ١١٧)، وإليه انتهت الرئاسة في المعتزلة حتى صار شيخها وعالمها غير مدافع، وصار الاعتماد على كتبه (ابن المرتضى، ١٤٠٩ ق، ١١٢)، والظاهر أنه آخر حلقة عقدت للاعتزال الخالص.

ومن الضروري أن يعدّ عبد الجبار من الشخصيات الفذة الذي يمثل شخصية المعتزلي بمواصفات الاعتزال الخاصة؛ إذ إنه لم يتأثر بالشيعة ولم يكن يرضى بتقبل آراء أهل الحديث وأفكارهم. ومهما يكن من أمر فإن تلامذته قد انصهر معظمهم في التشيع.

إنّ توسع التشيع من جانب، وحياة عبد الجبار في الري - التي كانت أحد مراكز الشيعة آنذاك - من جانب آخر، أفضى إلى أن يُظهِر عبد الجبار حساسية تجاه الشيعة. (جعفران، ١٣٧٢ش، ١١٧-١٢١)

بغداد والمعتزلة

ابتليت البصرة والكوفة بتعارض في أفكارها ومبانيهما، واشتدّ هذا التعارض بينهما في قضية حرب الجمل. فقد وطّدت حكومة الإمام علي ٧ أسس التشيع في الكوفة. وامتزج التشيع بمزيج من المفاهيم العقلية المتكدسة في خطب الإمام علي ٧ وكلامه. ولكن عندما أصبحت السلطة بيد الأمويين ثمّ العباسيين أذى ذلك إلى ضيق خناق الشيعة. ولما كان الاعتزال في بداية أمره غير معارض للاتجاه الحكومي وقر ذلك أرضية خصبة لنموه وازدهاره. فقد شدّ جمع غفير من أهل الكوفة الرحال إلى بغداد بعد بنائها، وكان التشيع منذ زمن قد بدأ بنشاطاته فيها، فاقتربا شيئاً فشيئاً بسبب توقّف المجالات العقلية المشتركة، ورويداً ورويداً اشتدّ عود التشيع في بغداد، فكان لمخالطة المعتزلة للشيعة واتصاف المعتزلة بالتححرر العقلي الأثر الكبير في جعلهم أن ينساقوا إلى تفضيل علي ٧ بشكل ملحوظ. (جعفران، ١٣٧٢ش، ٥٤-٥٧)

وفي القرنين الرابع والخامس الهجريين، بلغ تفضيل الإمام علي ٧ وترجيحه على الخلفاء الأهمية الكبرى عند معتزلة بغداد، ما يدلّ على نفوذ التشيع في المعتزلة، قال المطلي في بيان تعداد عدد الفرق الزيدية: الفرقة الرابعة من الزيدية، هم معتزلة بغداد الذين على العقيدة الجعفرية، أي جعفر بن

مبشّر الثقفي، وجعفر بن حرب الهمداني، ومحمد بن عبدالله الإسكافي. (الملطى، ١٤١٣هـ، ٢٧)، وكان هؤلاء كلهم قائلين بتفضيل أمير المؤمنين ٧.

ولما أتى بشر بن المعتمر إلى بغداد ظهر نمط خاص من الاعتزال الذي كان يؤمن بالفكر العلوي. فهو - مع غض النظر عن اختلاف آرائه مع المعتزلة في المسائل الكلامية - كان يؤيد الجانب العلوي من الجهة السياسية، وقضى في سجون هارون الرشيد بسبب هذا الموقف السياسي. (انظر: ابن المرتضى، ١٤٠٩ق، ٥٢-٥٣) ولأجل الاتجاه العلوي عند بشر بن المعتمر - وبما أنه كان يُدعى زعيم المعتزلة في بغداد - تحوّل لون الاعتزال في بغداد إلى لون شيعي.

هذا، وكانت بعض شخصيات المعتزلة كأبي جعفر الإسكافي أشدّ اعتقاداً في تشييعه، يقول ابن أبي الحديد: «كان من المتحقّقين بموالاته علي ٧ والمبالغين في تفضيله، وإن كان القول بالتفضيل عاماً شائعاً في البغداديين من أصحابنا كافة إلا أن أبا جعفر أشدهم في ذلك قولاً وأخلصهم فيه اعتقاداً» (ابن أبي الحديد، ٦٣/٤)، وكان أبو جعفر يقول بالتفضيل على قاعدة معتزلة بغداد، وكان علوي الرأي، محققاً منصفاً قليل العصبية. (ابن أبي الحديد، ١٧/١٣٣) ومن آثاره «نقض كتاب العثمانية» و«المعيار والموازنة». ويعدّ كتاب «المعيار والموازنة» كتاباً رائعاً في بابه، ويدلّ بما تضمّنه على وجود الخلافات المستمرة ما بين الفرقتين العثمانية (العامة السنية) والشيعية في أواخر القرنين الثاني والثالث، إذ صنّفه المؤلف في الردّ على أهل الحديث والحشوية، وهذا ما يشير إلى حدّة نزاع المعتزلة مع جماعة أهل الحديث والحنبلة في بغداد.

يقول الإسكافي واصفاً الحالة الشيعية في زمانه: «قال بعض الناس: أربي شيعياً صغيراً أريك رافضياً كبيراً، وعلّة ذلك أنه إذا قال بالتشيع اتّسعت عليه الفضائل، وكثرت المناقب وترد عليه عند النظر من فضائل صاحبه وتقدّمه دلائل تبهر وتلوح كالقمر الأزهر وكالنجوم المضيئة فيضيق عليه المخرج، فلا يكون عنده من الورع وحزم التوقي ولطافة النظر والعلم بالمخرج ما يجمعه من الغلو ويقعده من الإفراط والتقدم، فعندها ترفض.» (الإسكافي، ١٤٠٢هـ، ٣٢-٣٣)

فكانت الأجواء الفكرية في بغداد متأثرة بالمعتزلة، وأيضاً تأثر أساتذة المذاهب المشهورون بهم، وهذا ما استطاع أن يستقطب التلامذة بكثرة، وحقاً أنّ علماء الشيعة كالشريف المرتضى والشريف الرضي في القرنين الرابع والخامس استفادوا من هؤلاء الأساتذة وعلى الخصوص عبد الجبار. (ابن المرتضى، ١٤٠٩ق، ١٢٠)

نظرة أهل البيت: للمعتزلة

أظهرت مناظرات الإمام الصادق ٧ مع بعض المعتزلة، ومناظرة هشام بن حكيم مع عمرو بن عبيد وأبي هذيل، آراء الأئمة وأصحابهم ضد أفكار الاعتزال. (الكليفي، ١٣٦٣ ش، ٢٣/٥ - ٢٧). والحوار بين الإمام الصادق ٧ وواصل من نماذج هذه المناظرات. (ابن المرتضى، ١٤٠٩ ق، ٣٣).

هناك روايات محدودة من الأئمة: حول المعتزلة، لكن هذه الروايات القليلة سلّطت بعض الضوء على موقف المعتزلة في نظر الإمامية وعلاقاتهم، وبحسب إحدى هذه الروايات، فإنّ بعض المعتزلة مثل عمرو بن عبيد وواصل، دخلوا على الإمام الصادق ٧ في مكة، وسعوا للعثور على شخص صالح للخلافة، فجاءوا للمبايعة مع محمد بن عبد الله بن الحسن. (الكليفي، ١٣٦٣ ش، ٢٣/٥ - ٢٧).

وفي رواية أخرى في مجلس الرضا ٧: فتذاكروا الكبائر وقول المعتزلة فيها: إنها لا تغفر، فقال الرضا ٧: قال أبو عبد الله ٧: قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة. (الصدوق، ٤٠٦) وبحسب هاتين الروايتين يتبيّن لنا أنّه لم يتفق الإمامية مع المعتزلة في فترة حضور الإمام.

مناظرات علماء الشيعة والمعتزلة في بغداد

أدى التلاحم الفكري بين الشيعة والمعتزلة إلى تقوية توجيه الاتهام نحو الشيعة، بأن الشيعة أخذوا الفكرة الكلامية من المعتزلة بحيث يعتقد البعض بأنّ الشيعة بتقبّل المعتزلة شيئاً فشيئاً التحقوا بمدرسة الاعتزال. (انظر: الحياط، ١٢٤٤هـ، ١٤٤هـ؛ ابن تيمية، ١٤٠٦هـ، ٧٠/١ و٧٢؛ أمين، ٨٩١/٣؛ متر، ١٢٤/١) وعلى هذا الصعيد يقول الشريف المرتضى: «اعلم أنّ أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين علي ٧ وخطبه، وإنّها تتضمّن من ذلك ما لا مزيد عليه ولا غاية وراءه، ومن تأمّل المأثور في ذلك من كلامه علم أنّ جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه إنما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الأصول.» (السيد المرتضى، ١٣٢٥هـ، ١٠٣/١)

فمعارضة الشيخ المفيد إزاء هذا الكلام، وتبينه لوجوه الاختلافات الجزئية ما بين الشيعة والمعتزلة ما أفضى إلى إزالة هذا الاتهام في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس. إضافة إلى أنّ هذا التلاحم الفكري سبّب أن تُعرف بعض الشخصيات الشيعية المرموقة التي لا تمت بصلة إلى الاعتزال الخالص متهمّة بعنوان المعتزلي، كما أن البعض ذكروا أن الشريف المرتضى شخصية معتزلية. (الذهبي، ١٤٠٧هـ، ٤٣٤/٢٩؛ الصفدي، ١٤٢٠هـ، ٢٣٢/٢٠)

وفي هذا المجال، لم يعدّ روح التسامح العقدي لهؤلاء الرجال في تعاملاتهم أيضاً دون تأثير في هذا

التمازج الفكري. فعلى سبيل المثال: أثر التشيع في نهج البلاغة له من القوة؛ إذ إنه يحمل بعض الانتقادات المعارضة للخلفاء الذين تتعارض عقائدهم مع العقائد السائدة عند أهل السنة وحتى المعتزلة وإن كان التسامح الموجود فيه ما يجعل المعتدلين من أهل السنة أن يتقبلوه. (جعفریان، ١٣٧٢ش، ١٠٦-١٠٩)

وفي هذا القرن ازدادت صلابة الشيعة في دراسة القضايا العقلية، ولكن انتفعت من هذه الآلية المتوفرة في إثبات نفس وجهات النظر الشيعية الخاصة، وهناك من الرجال - كالشريف المرتضى - على رغم اهتمامهم بالاتجاه العقلي احتفظوا دوماً بالجانب غير الاعتزالي، وفي بعض الأحيان بالموقف المضاد للاعتزال. (جعفریان، ١٣٧٢ش، ١٠٩)

فارتبط المذهب الشيعي بكلام المعتزلة ذلك الارتباط الوثيق من خلال حركة التنمية والتكامل، ما جعل المؤرخون أن يشككوا في أنهما من جهة الظهور مترابطان ويتوقف وجود كل منهما على الآخر، ولكن الوثائق تشهد أن المذهبين في القرن الثاني كانا متباعدين في مبانيهما، وليس ذلك على صعيد المذهب والتعاليم في باب الإمامة؛ إذ كانا في خلاف بشكل جذري فيه، بل في المسائل التي يظهر فيها الجانب الكلامي، ويتعلق بالله وصفاته، والإرادة والحرية، والقضاء والقدر. والمعتزلة كانوا قد وضعوا أسساً تقليدية صعبة، حيث إنهما تعطي لكل صورة من صور الانحراف حكم الشرك، وهذا ما ترك بينهما هوة لا يمكن اجتيازها، وسبب ظهور التضارب المتواصل والاختلاف الشديد في الآراء بينهما، وكانت الإمامية على الخصوص عرضة للمناظرات وشجارات المعتزلة الحادة. (المحقق، ١٣٦٢ش، ٩)

إنّ أحد الأساليب في البحث عن قضية التأثير والتأثر، هو البحث وراء المدافعين والمتابعين لكل من المذهبين في العلاقات والتواصلات فيما بينهما، وأهمّ قضية في العلاج وتأثر المعتزلة من الشيعة هو تقديم الإمام علي^٧ وتفضيله على الخلفاء - الذي هو أهم خصيصة عند معتزلة بغداد - ويبدو أن هذه الملاحظة ولا سيما في خصوص تأثر الزيدية والمعتزلة وتأثير بعضهما على بعض واضحة جداً.

ومن المنظار الثقافي ما تمكّن الزيدية أبداً أن يحقّقوا في المجالات العلمية كالتفسير والفقه والكلام ثقافة منسقة في تألف مترابط كالإمامية، وكانت الأكثرية الساحقة متّبعين في الفقه لأبي حنيفة، وفي الكلام كلهم يتبعون المعتزلة، والحال أنّ الإجراءات العلمية للأئمة الشيعة ولا سيما الإمام الباقر

والإمام الصادق ٨ أفضت إلى ظهور مدرسة تحمل ثقافتها المتميزة. وطبعاً لم يكن اختيار هكذا موقف في المجتمع السياسي آنذاك ترافقه المشاركة في إجراءات سياسية مهمة؛ إذ إنّ الأمويين والعباسيين لأجل بقاء سلطتهم قضاوا قضاء مبرماً على كل معاند وخلاف يحدث، وأئمة الشيعة جعلوا في هذه الفترة اتجاههم الرئيس لتبيين معارف الإسلام الدينية الحقة، وانصبّ عملهم الرئيس

و الأساسي في تدوين الثقافة الدينية. (جعفریان، ۱۳۸۷ش، ۳۱۵-۳۱۶)

والمسألة المهمة الأخرى في خصوص المعتزلة هي وثيقة تبين ما حكمت المعتزلة عن نفسها، وهذه المسألة أدت إلى القول بأنّ فكرة الاعتزال تتصل إلى طريق أبي هاشم، ومحمد بن الحنفية إلى أمير المؤمنين ٧، ومنه إلى رسول الله ٦، ويأخذ بمثل هذه الوثيقة معتزلي متعصب كعبد الجبار في عصر متأخر أيضاً، ونصّ الوثيقة هو: وسند المعتزلة لمذهبهم أوضح من الفلق؛ إذ يتصل إلى واصل وعمرو اتصالاً ظاهراً شاهراً، وهما أخذوا عن محمد بن علي بن أبي طالب وابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد. ومحمد هو الذي ربّى واصلًا وعلمه حتى تخرج واستحکم، وهو أخذ عن أبيه علي بن أبي طالب ٧ عن رسول الله ٦. وبيان اتصاله بواصل وعمرو، أنه أخذ القاضي عن أبي عبد الله البصري، وأبو عبد الله أخذ عن أبي إسحاق بن عياش، وأبو إسحاق أخذه عن أبي هاشم وطبقته، وأبو هاشم أخذه عن أبيه أبي علي الجبائي، وأبو علي أخذه عن أبي يعقوب الشحام أخذه عن أبي الهذيل، وأبو الهذيل أخذه عن عثمان الطويل وطبقته، وعثمان أخذه عن واصل وعمرو، وهما أخذوا عن عبد الله بن محمد، وعبد الله أخذ عن أبيه محمد بن علي بن الحنفية، ومحمد أخذ عن أبيه علي ٧، وعلي ٧ أخذ عنه ٦. (عبد الجبار، ١٩٧٢م، ٤١٢؛ ابن المرتضى، ١٤٠٩ق، ٧؛ السبحاني، ٢٥٤/٣-٢٥٥)

وعادت قوة المعتزلة بتسلّم بني العباس سدة الحكومة، وكانت صحبة عمرو بن عبيد والمنصور لمحّة من وجود علاقة بين تصدي الحكم من قبل بني العباس وظهور المعتزلة. ومن جانب آخر بما أن بني العباس كانوا من سلالة بني هاشم، فلذا يتمتعون بأفكار شيعية، وهذا ما مهّد الأرضية لنمو الاعتزال. وتزامناً مع تحاصم بني العباس والزيدية، وحينما انحازت ثلّة من المعتزلة إلى جانب الزيدية ترك بنو العباس الأفكار الشيعية والتجوّوا بجماعة أهل السنة، وبدأت هذه الحالة في عصر المنصور، ولما تصدّى المهدي العباسي الحكم جابه بذريعة كفاح الزنادقة الأفكار التي لا تروق العامة، وفي عصر هارون شيئاً فشيئاً استعادت المعتزلة قوّتها، وأطرى الأمين على أهل الحديث والحنابلة مدحاً لموقفهم المخالف تجاه المأمون، ودافع المأمون عن المعتزلة دفاعاً شديداً، وأصبحوا في قمة القوة منذ عهد

خلافته حتى فترة المعتصم والواثق. والمعتزلة راحت تقضي على أهل الحديث باستخدام قوتها، وبفعلها جعلت العامة تتحالف لمجابهتها. فطرحت مسألة خلق القرآن في نفس العصر. وتزامنا معها كان المأمون يعتقد بالتشيع على نحو العام و بالاعتزال، وقد جمع فكرة التشيع والاعتزال في نفسه ومعتقده، وهو كان متظاهراً في تسليم ولاية العهد للإمام الرضا^٧ وفي إقراره في أمر الحكومة، على أنها حق العلويين، والمأمون عنده أشعار في مدح أهل البيت: (ابن الجوزي، ١٤٠١هـ، ٣١٩-٣٢٠)، وهو يُظهر التشيع. (المسعودي، ١٤٠٤هـ، ٤١٧/٣)

هذه المسائل وإن كانت مكيدة سياسية، لكنها كانت خطوة مهمة في تبيين حق العلويين في أمر الخلافة. (جعفریان، ١٣٧٢ش، ٧٠-٦٨)

ولما تسلّم المعتصم الحكم ولا سيما في زمن المتوكل (٢٤٧م ق) عادت قوة أهل الحديث، وأصبحت الشيعة والمعتزلة تحت الضغط الشديد، ولقّب المتوكل «بمحيي السنة وميت البدعة» وخاصم المعتزلة من جانب، ومن جانب كان ضد الشيعة ومخالفاً لهم. (الأزدي، ١٣٦٣ش، ٧٤)

فمن علماء المعتزلة أبو القاسم البلخي، وهو من إحدى حلقات الاتصال المهمة بين الاعتزال والشيعة آنذاك، ويبين تأليفه في طبقات المعتزلة برهنة من حركة المعتزلة الفكرية في مستهل القرن الرابع، البرهنة التي كانت تسعى المعتزلة فيها من أجل تشييع كل جهات حركتها من البداية حتى هذا الزمن. (جعفریان، ١٣٧٢ش، ٨٩-٩٠)

ويعدّ صاحب بن عباد أيقونة الوحدة بين الاعتزال والتشيع، وتبلور اعتزاله في التشيع بصورة دقيقة. هناك أدلة تشير إلى تعلقه بالأئمة المعصومين؛ ومن أهمها أشعاره في مقدمة كتاب «عيون أخبار الرضا^٧» وبعض تلويحات الصدوق فيه. (الصدوق، ١٤٠٤هـ، ١٢/١-١٥) فأفضت قدرته السياسية في الريّ وأصفهان إلى أن يستقطب نحوه علماء كثيرين ممن يحملون الفكر الشيعي أو المعتزلي، وكان يتعمد في إزاحة الذين يعتقدون بالجبر والتشبيه، ويولي اهتمامه بالذين يعتقدون بالعدل والتوحيد فحسب. (جعفریان، ١٣٧٢ش، ٩٣-٩٥) قال الثعالبي: وعرض علي أبو الحسن الشقيقي البلخي توقيع الصباح إليه في رقعة: من نظر لدينه نظرنا لديناه، فإن آثرت العدل والتوحيد بسطنا لك الفضل والتمهيد، وإن أقمت على الجبر فليس لكسرك من جبر. (الثعالبي، ١٤٠٣هـ، ٢٣٤/٣)

وقد نقل المرتضى في الفصول المختارة أخباراً متعددة من مناظرات الشيعة والمعتزلة في بغداد. (السيد المرتضى، ١٤١٤هـ، ١٨ وما بعدها) وإن كان كلا الفريقين يتأثر بعضهم من الآخر طوال هذه المناظرات،

ولكن الشيخ المفيد له بعض الكلمات تعبر عن تعصب المعتزلة في المناظرات الكلامية خصوصاً في بحث الإمامة: «ما رأيت أعجب منكم يا معاشر المعتزلة، تتكلمون فيما قد شارككم الناس فيه من العدل والتوحيد أحسن كلام حتى إذا صرتم إلى الكلام في الإمامة والإرجاء صرتم فيهما عامة حشوية، تحبسون خبط عشواء، لا تدرن ما تأتون وما تدرن، ولكن لا أعجب العجب من ذلك وأنتم إنما جودتم فيما عاونكم عليه غيركم، واستفدتموه من سواكم، وقصرتم فيما تفردتم به، لا سيما في نصره الباطل الذي لا يقدر على نصرته في الحقيقة قادر». (السيد المرتضى، ١٤١٤هـ، ٧٩)

سببت هذه المناظرات العداوة الشديدة بين الشيعة الإمامية والمعتزلة، لكن في عصر البويهيين اقتربت المعتزلة من الشيعة. أشار المقرئ في كلامه إلى تأثير الشيعة من المعتزلة قائلاً: راج مذهب الاعتزال في ظلّ دولة البويهيين في العراق وخراسان وما وراء النهر، والتحق بهم جماعة من كبار الفقهاء، وانتشرت مقالات المعتزلة بين صفوف الشيعة. (زهرة، ٢٠٠٤م، ٢٦٠)

ويبدو أن جلّ النزاعات بين الشيعة والمعتزلة كانت في بحث الإمامة، وفي سائر المواضيع كانت الاختلافات في القضايا الكلامية الفرعية فقط. عندما ارتقت الشيعة وضاق نطاق المعتزلة، وقعت المعتزلة من جانب في فتح الخصام مع الشيعة، ومن جانب آخر تحاول في نفس الوقت أن تلتجئ بها، ومن جهة أخرى قبلت الشيعة علم الكلام و زاولته، فمن هذا المسار كانت المعتزلة تتمكن من محادثة الشيعة، ولكن أهل الحديث كانوا يعدّون علم الكلام كفرةً وزندقة، وعلى رغم توفّر الآراء المشتركة مع المعتزلة في بحث الخلافة إلا أنهم ما كانوا على استعداد لتقبّلهم في المجتمع. وفي هذه الظروف كانت أئمة المعتزلة بمقدار ما يولون اهتماماً لبعض عقائدهم راحوا يقفون إلى جانب الشيعة أو يعارضونهم.

فمن هنا يتّضح لنا أن معرفة الخلاف بين المعتزلة والفرق الموجودة في تلك البيئة آنذاك إلى جانب خلاف الشيعة لبعض الفرق المختلفة، وإضافة إلى أهمية بعض الخلافات إذا ما قورنت ببعض آخر، فهذا الأمر يستطيع أن يمهد الأرضية المناسبة لتقارب الشيعة والمعتزلة.

ربما أهمّ مشكلة عند المعتزلة في تلك الظروف هي أهل الحديث أي الحشوية وبعبارة أخرى العثمانية، لأنّ عماد الاعتزال الرؤى العقلية في المسائل الاعتقادية التي كان أهل الحديث يعارضها، وعليه، هذا الخلاف يعدّ خلافاً أساسياً.

وهناك فرقة أخرى كانت حاضرة في ذلك المجتمع آنذاك وهي المرجئة، حيث إن تشكيل الاعتزال

كان في أول أمره لأجل معارضتهم. فهذا الخلاف وإن كان في مطلع أمره جذرياً ولكن في ما بعد قلّت حدّته، على الخصوص عندما ازدادت أهمية مسألة الاعتقاد بالعدل والتوحيد بين الاعتزال ما جعل من المحتمل أن يظهر ما بين المرجئة من يؤمن بفكرة العدل والتوحيد، ومن جملتهم غيلان الدمشقي وأبو حنيفة. وقلّل وجود المرجئة في الساحة من أهمية الخلاف بين المعتزلة والمرجئة شيئاً ما. ومن هنا تحوّلت سلطة أهل الحديث ونفوذها ومعارضة الشيعة والمعتزلة من قبل الحكومة إلى أصل يؤخذ به. وفي هذه الظروف الحساسة كان من الممكن أن تتحقق الموازنة والأحاسيس المتبادلة بين المعتزلة والشيعة، وبما أن التماسك الداخلي عند الشيعة بسبب مسألة الإمامة لا يقاس بما عند المعتزلة، فلذلك وجود مثل هذا التماسك من الداخل في الشيعة كان أقلّ حاجة إلى دعم من الخارج من خلال إيجاد اتصال بالمعتزلة، ولكن المعتزلة كانوا يفقدون مثل هذا التماسك. (جعفریان، ١٣٧٢هـ، ٦٥-٧٢)

كانت العامة في القرن الثالث تنظر إلى المعتزلة نظرة كراهية وسخرية (متر، ٣٧٧/١)، وفي نهاية نفس القرن مُهدت أرضية التآلف شيئاً ما بين الشيعة والمعتزلة في بغداد. وعلى وفق ما أكّد عليه أبو علي الجبائي من أواخر القرن الثالث الهجري نلاحظ إزاحة التخاصم وسيادة السلام في ما بين الشيعة والمعتزلة، وفي القرن الرابع انجرت هذه الحركة في ظل حكومة البويهيين إلى التحالف بينهما، ويمكن أن تبحر عن هذا الالتقاء من خلال الأوضاع السياسية آنذاك في بغداد، فبعد ما أنزل المتوكل العقوبة بالمعتزلة فقدوا تلك المكانة السياسية والفكرية، ومنذ ذلك الوقت راحت تدرك المعتزلة ضرورة الحصول على دعم جديد ووجدوا الشيعة أفضل محالف لها. (محسن، ١٩٩٦ م، ٧٨). قال عبد الجبار: كان أبو علي الجبائي يشجّع متبّعيه وأصحابه إلى التحالف مع الشيعة، ويقول: الشيعة توافقتنا في مسألة العدل والتوحيد، وخلافنا معهم في الإمامة فقط، فتحالفوا حتى تصبّحوا كاليد الواحدة. (عبد الجبار، ١٣٩٣هـ، ٣٠٨-٣٠٩)

وفي القرن الرابع الهجري كانت بغداد ساحة لنزاع الفرق السياسية والفكرية المختلفة، فأهل الحديث هم في الحقيقة كتلة من الخنابلة المتعصبين والمتطرفين، والمعتزلة كانوا العقلانيين المتطرفين، والشيعة كان لها أسلوبها وطريقتها المتميّز؛ لأنها كانت مستقلة في مبانيها الفقهية والكلامية أيضاً ولا سيما في مسألة الإمامة. وكان أهل الحديث في خلاف شديد مع المعتزلة، وكانوا يرفضون علم الكلام. الشيعة والمعتزلة على هذا الصعيد كان يتفهّم كلّ منهما الآخر، وكانوا على اتصال أقرب بهم في

بغداد، وكثرت هذه الاتصالات حين تسلّم البويهيين الذين كانوا إلى جانب التشييع والأفكار العقلية زمام الحكم، وكان الاتصال بالذين يتساهلون كثيراً في أمر المذهب أكثر سهولة، فقد راحوا يسمحون لأنفسهم لكي يشاركوا في دروس أساتذة المعتزليين أو الشيعة دون صعوبة، وأيضاً يجب أن نلحق بجماعتهم بعض أهل الحديث الذين طُردوا من حوزتهم بسبب اختلافهم مع أهل الحديث. وأما الحنابلة فهم الذين تنافسوا مع الشيعة. (انظر: يادنامه ٣/٣٤؛ زارع، ٢٠).

ينمّ كلام الجبائي عن معلومة مهمة في تاريخ مناظرات علماء الشيعة والمعتزلة في القرنين الرابع والخامس في بغداد، ويبيّن أنّ المناظرات واختلافات الشيعة والمعتزلة في مسألة الإمامة كانت كثيرة، طبعاً الإقرار بعلم الكلام هو نفسه يطرح التحاور والتفاهم المتبادل بينهما، فمراد أبي علي من القوة واليد الواحدة مكافحة العدو المشترك، أعني حنابلة بغداد الذين كانت لسلطتهم السيادة السياسية بعض الشيء أيضاً، وباتكائهم على جماعة السنة في بغداد راحوا يقفون في وجه المعتزلة والشيعة، وفي منتصف القرن الرابع الهجري ازدادت قوة الشيعة في بغداد كطائفة من جهة، ونيلها على السيادة السياسية والنفوذ فيها من جانب آخر، ما جعل ذلك المعتزلة أن تختمي بحماهم لحفظ بقائهم، وهذا الأمر كان واضحاً بصورة محسوسة في فترة سيادة البويهيين. (جعفریان، ١٣٧٢ش، ٧٤-٧٥)

وخلال القرن الرابع خاصم سنّة بغداد الشيعة، وشدّدوا في جميع المدن على المعتزلة، وتركوا طعم الحياة عليهم مرّاً، ولكن على رغم ذلك ما حالفهم الحظّ كثيراً في قمع الشيعة والمعتزلة (متر، ٣٧٩/١) وقد خلّفت الاتصالات المتواصلة بين الشيعة والمعتزلة آثاراً عظيمة لكلا الجانبين.

ومن جملة أسباب الاتصال القوي بين الشيعة والمعتزلة هي الوثيقة التي كتبها الخليفة القادر بالله العباسي، وأعلن أنّ الحوار والنقاش حول الاعتزال والرافضية والعقائد التي تعارض الإسلام محظور لا يجوز. (متر، ١٢٤/١) وكذلك أصدر في سنة ٤٣٣ ق مبدأ توجيهياً بتوقيع من الفقهاء وباسم «الاعتقاد القادري» الذي كان يعدّ من يخالف العقيدة الرسمية المعلنة فاسقاً وكافراً. (الذهبي، ١٤٠٧ هـ، ٣٢٢/٢٩-٣٢٤)

وأيضاً يمكن الإشارة إلى قضية ما ألقه الطبري في خصوص حديث الغدير وفضائل علي بن أبي طالب، ولهذا السبب اتّهمه الحنابلة بالتشييع والإلحاد، ما أفضى الأمر إلى دفن الطبري ليلاً لتدخل الحنابلة وامتناعهم عن الدفن نهاراً. (انظر: البغدادي، ١٤١٧ هـ، ١٦١/٢؛ ابن الأثير، ١٣٨٦ هـ، ١٣٤/٨؛ ابن عساکر، ١٤١٥ هـ، ١٩٦/٥٢؛ ابن كثير، ١٤٠٨ هـ، ١٦٧/١١) ووصف بروكلمان الحنابلة على النحو التالي: لقد شكّلوا

تهديداً خطيراً للقانون والسلام والطمأنينة والنظام في بغداد. (بروكلمان، ١٣٤٦ ش، ١٧٥).

وخلاصة القول حدثت أعظم الأحداث في القرنين الرابع والخامس من مقاطع تاريخ الإسلام، ولا سيما في عاصمته السياسية بغداد، حيث يقول السلطان محمود الغزنوي: «أنا من أجل استقرار بني العباس قمت أبحث عن كل قرمطيّ في أنحاء العالم، فكل من أعر عليه يحكم عليه بالشنق حتى الموت». (ربيع، ١٣٨٩ ش، العشرون) ولهذا نفى خلقاً كثيراً من المعتزلة والرافضة والإسماعيلية والجهمية والمشبهة وأمر بلعنهم على المنابر، وبالغ في قتلهم. (الذمي، ١٩٦١ م، ٣/٤٩٨؛ الياضي، ١٤١٧ هـ، ١٧/٣) ويمكن القول أنّ الشيعة وجدت في بعض مبادئ المعتزلة وأصولها أموراً تساندها في الدفاع عن عقائدها وإقامة الأدلة على صحتها؛ ولهذا راحت تدرسها، وفي نفس الوقت على رغم عدم اعتقادها بهذه المبادئ راحت تستفيد منها في مواجهة أعدائها.

وبعبارة أخرى لم يكن تأثير الشيعة من المعتزلة في الشكل والتركيب والمسائل، وإدراج القضايا العقلانية في النظام الكلامي، مصدر قلق علماء الشيعة، فإنهم أخذوا الصياغة والبنية والقضايا الكلامية الشائعة، ومع الاختلافات الجوهرية في مبادئهم ومصادرههم وأساليبهم ومقارباتهم قدّموا في العديد من القضايا إجاباتٍ تختلف عن المعتزلة. (الكياني، ١٣٩٣ ش، ٢٨١).

وفي نهاية هذا العصر فقدت المعتزلة مكانتها بعد زوال سلطة البويهيين ووفاة الصاحب بن عباد، قال ابن الجوزي في ضمن أحداث سنة ٤٠٨ ق: استتاب القادر بالله فقهاء المعتزلة الحنفية، فأظهروا الرجوع، وتبرؤوا من الاعتزال، ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذ خطوطهم بذلك، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم. (ابن الجوزي، ١٤١٢ هـ، ١٥/١٢٥) وقال ابن الأثير: استتاب القادر بالله المعتزلة والشيعة وغيرهما من أرباب المقالات المخالفة لما يعتقد من مذاهبهم ونهى عن المناظرة في شيء منها، ومن فعل ذلك نكل به وعوقب. (ابن الأثير، ١٣٨٦ هـ، ٩/٣٠٥)

دور جهود الشيخ المفيد في التأثير والتأثر بين الشيعة والمعتزلة

كان الشيخ المفيد من العلماء الذين لهم علاقات متواصلة بمعتزلة بغداد، ومن بين أساتذته يمكن الإشارة إلى علمين من المعتزلة: أبي عبد الله البصري، وعلي بن عيسى الرماني المعتزلي. وهو صاحب مدرسة مستقلة وأسلوب خاص في الكلام والفقه، ومن جاء بعده تأثر بمدرسه. استمرت نزاعات شديدة بين الشيعة والسنة الحنابلة في بغداد في عصر الشيخ المفيد، ونظراً إلى هذه

الالتفاتة يمكن أن نعي أنّ الشيعة والمعتزلة كانوا إزاء هذه النزاعات في صف واحد، لأنّ عداوة الحنابلة للمعتزلة لم تعد أقلّ من عداوة الشيعة. وقد تغير هذا الوضع في بعض الأحيان بسبب تصاعد الاختلافات الطائفية في بغداد والصراع بين الشيعة والسنة، وهوليس بصالح الشيخ المفيد، ففيه حكام بغداد لتهدئة الصراعات، وتمّ طرده من بغداد مرّة في ٣٩٣ هـ ومرّة أخرى في ٣٩٨ هـ من قبل البويهيين، ولكن بشفاعة البعض أعيد. (ابن الأثير، ١٩٧٩ م، ٤٣/١٥ - ٤٤؛ ابن كثير، ١١/ ٢٥٠؛ ابن الجوزي، ١٣٧٥ ق، ١٤، ابن خلدون، ٢/ ٦٥٨).

كانت مناقشة المفيد والمعتزلة بشكل عام أسهل من مناظرة السنة الحشوية والحنبلية في بغداد؛ لأن المعتزلة والشيعة بسبب توثيق علاقاتهم كان بإمكانهم أن يعقدوا حلقات مشتركة ويتناقشوا، فلذلك لا يحسن أن نستدلّ بسبب كثرة مؤلفات الشيخ المفيد المكتوبة في معارضة المعتزلة على العداوة الاجتماعية بينهما. فغاية الشيخ المفيد في تدوين كتاب «أوائل المقالات» الإفصاح عن الاختلافات العقائدية بين المعتزلة والشيعة، ويؤوّه إلى ملاحظة، وهي أنّ الشيعة والمعتزلة يدركون حقيقة هذه الاختلافات، وكان الفرق بين العقيدتين متعلّقاً بالتوحيد والعدل وبعض المسائل الفرعية في علم الكلام.

وجهود المفيد في أوائل المقالات هي إحصاء اختلاف الرؤى بين الشيعة والمعتزلة، وكان أيضاً يشير إلى بعض آراء النوبختية التي توافق المعتزلة، إلا أنّها لا توافق عقائد الشيعة، وتتمّ تلويحات الشيخ المفيد ودواعيه في تصنيف هذا الكتاب بوضوح أنّ هذا الكتاب ألّف في الردّ على الذين كانوا يتصوّرون مماثلة عقائد الشيعة والمعتزلة، فالشيخ في موضع ينكر هذه النظرية التي تقول: إنّ الشيعة أخذت فكرة نفي التشبيه من المعتزلة. (جعفریان، ١٣٧٢ ش، ١٢٨-١٣١)

فقد ذكر هذا الموضوع في أحد مباحث رسالة المسائل الصاغانية، وفيها سئل عن الشيخ المفيد بأن هناك رجلاً من ذوي الرأي في صاغان أذاع ضد الشيعة قائلاً: إنّ شياً من الشيعة في بغداد (يبدو أنّ مراده الشيخ المفيد) أخذ علم الكلام سرقة من أصحابنا المعتزلة، فأجابه الشيخ قائلاً: نحن لا نعرف بين أصحابنا الشيعة من المتكلمين والفقهاء من أخذ الكلام من المعتزلة واختلط بمسلك أصحابك، فهذه من جملة الاتهامات التي كانت تذكر من قبل أيضاً. ويوجد للشيخ المفيد تصنيف آخر في إثبات تباين الآراء بين الشيعة والمعتزلة حيث سمّاه بعنوان: «مسألة الفرق بين الشيعة والمعتزلة والفصل بين العدالةيهما والقول في اللطيف من الكلام». ومهما يكن من أمر فإنّ مدى اختلاف

الرأي بين الشيعة والمعتزلة في إطار مباحث العدل والتوحيد وسائر المباحث الكلامية والطبيعية لم يتجاوز عن نطاق المسائل الجزئية والفرعية. (المفيد، ١٤١٤هـ، ٤١)

وأيضاً تدلّ بعض عناوين مؤلفات الشيخ المفيد على خصامه ونزاعاته في بحث العدل وفروعاته مع المعتزلة، منها كتاب «الموضّح في الوعيد»، و«عمد مختصرة على المعتزلة في الوعيد». وصنّف أيضاً بعض المؤلفات لتدلّ على وفاق الشيعة ومعتزلة بغداد ككتاب: «الرسالة المقنعة في وفاق البغداديين من المعتزلة لما روي عن الأئمة».

والملاحظة التي يجب الانتباه إليها بالنسبة إلى طريقة تعامل الشيخ المفيد مع المعتزلة هي أنّه في عصره كان أكثر المعتزلة في بغداد على المذهب الحنفي، ولا شك أنّ الاحتكاك بهم هو في نفسه يؤدي إلى الاصطكاك بأصحاب الرأي ومواجهتهم، وأيضاً مواجهة المعتقدين بالقياس. وعليه، فإنّ الشيخ المفيد في موارد متعددة أخذ على الرأي والقياس وانتقدتهما، وهذه النقود يوجّه خطابها أحيانا إلى المتمسكين بالرأي والقياس من المعتزلة. (جعفریان، ١٣٧٢ش، ١٣٣-١٣٧)

وخلاصة القول أنّ الشيخ المفيد كان مصدر مناظرات العلماء الإماميين والمعتزلة في هذه الفترة، ثم وصل هذا التيار إلى السيد مرتضى والشيخ الطوسي وغيرهما، واعتُبر النقاش والمناظرة عملاً علمياً عادياً.

دور جهود الشريف المرتضى في التأثير والتأثر بين الشيعة والمعتزلة

قد عدّ البعض السيّد مرتضى كبير المعتزلة. (الذهبي، ١٤٠٧هـ، ٢٩/٤٣٤؛ الصفي، ١٤٢٠هـ، ٢٠/٢٣٢) ومما يدلّ على العلاقة الوطيدة بينهما هو نقل بعض البيانات في كتب علماء الإمامية ومن طريق المعتزلة، فعلى سبيل المثال: تمّ نقل أكثر روايات السيّد المرتضى في الأمالي من المرزباني المعتزلي. (باراني، ١٣٩٢ش، ١٤٣).

كان للشريف المرتضى أثر بالغ بين الشيعة في كل أرجاء العالم الإسلامي، ويتّضح ذلك من خلال الأجوبة المتعددة التي كان يوجّهها لأسئلة الشيعة في النواحي المختلفة. أخذ الشريف المرتضى مقدمات علومه من الشيخ المفيد، ولكن بعد ذلك أصبح في سلك طلبة العلماء من غير الشيعة، وكان من جملتهم عبد الجبار وأبو إسحاق النصيبيني، وأبو عبيد الله المرزباني.

كان علم الكلام يعدّ عند الشيخ المفيد بمنزلة آلة للدفاع عن المعتقدات الإمامية المستنبطة من غضون معارف الأئمة، وقد رأى الشريف المرتضى النزعة المعتزلية وتمسك بها، حيث إنّه يرى ضرورة

إثبات حقائق الدين الأصولية من طريق العقل فحسب. وقد بدأ كتابه «الأصول الاعتقادية» كرسالة اعتقادية معتزلية، وكان يؤمن بأن أول ما يجب على الإنسان من تكليف هو معرفة إله عن طريق استنباط وجوده من خلال العلم بحدوث الأشياء، فاتجاه الشريف المرتضى بالنسبة إلى الحديث ينشأ من هكذا أسلوب في التفكير، فهو في استدلاله قليلاً ما يستعين بالروايات، وكلما استعان بها كانت بمنزلة دليل فرع لا دليل أصل. (محقق، ١٣٦٢ش، ١٩-٢٠) كان الشريف المرتضى ينقل عموماً تعاليم معتزلة البصرة ويحتذي بها، وهو بسبب اتكائه عليهم كان يختلف مع الشيخ المفيد في بعض المسائل. (ابن طاووس، ١٣٧٠هـ، ٢٠)

فالملاحظة المهمة في رؤى الشريف المرتضى هو أنه يرى حالات الصراع بين الإمامية والمعتزلة أقل، إذا ما قورنت بحالات الصراع بين بني النوبخت والشيخ المفيد، وهو لا يعدّ هذه الاختلافات من جهة أساسها وجوهرها في معتقد الإمامية أمراً مهماً وحيوياً. (محقق، ١٣٦٢ش، ١٩-٢٠)

ومن أهمّ حالات الصراع والنزاعات بين الشريف المرتضى والمعتزلة، هو مناقشاته مع عبد الجبار في موضوع الإمامة، وهذه الملاحظة تظهر أهميتها عندما نعلم بأن المعتزلة ترى انعكاس كل مناقشاتها ومباحث مجتمعتها في عصرها في أصولها الخمسة. سئل عن عبد الجبار: ولم اقتصرتم على هذه الأصول الخمسة؟ وأجاب قائلاً: لا خلاف أنّ المخالفين لنا لا يعدو أحدٌ هذه الأصول، ألا ترى أنّ خلاف الملحدة والمعطلة والدهرية والمشبّهة قد دخل في التوحيد، وخلاف المجبرة بأسرهم دخل في باب العدل، وخلاف المرجئة دخل في باب الوعد والوعيد، وخلاف الخوارج دخل تحت المنزلة بين المنزلين، وخلاف الإمامية دخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (عبد الجبار، ١٤٢٢هـ، ٧٧)

ويجب أن نعلم أنّ مذهب الشيعة في غضون القرن الرابع امتدّ إلى البصرة، وأصبحت شيعة بعد أن كانت عثمانية، وفي القرن الخامس الهجري كان في البصرة ما لا يقل عن ثلاثة عشر مكاناً يتصل بذكري عليّ، وكان يقدها الشيعة. (متز، ١٢٠/١؛ مغنية، ١٣٩٩هـ، ٢٩٠)

دور جهود الشيخ الطوسي في التأثير والتأثر بين الشيعة والمعتزلة

حضر الطوسي دروس بعض فقهاء الشافعية، فظنّه البعض أنّه منها، كما يوجد في عداد مشايخ الطوسي بعض أعيان الأحناف والشوافع، ولعلّ وجودهم في طبقة مشايخه سبب هذه النسبة الباطلة. (الطوسي، ١٤١٧هـ، ٢٤/١) وقد عدّ ابنُ كثيرٍ الشيخَ الطوسيَ متكلّم الإمامية. (ابن كثير، ١٤٠٨هـ، ٩٠/١٢) قال ابن حجر: له مصنّفات كثيرة في الكلام على مذهب الإمامية. (ابن حجر، ١٣٩٠هـ، ١٣٥/٥) وقال

العلامة الحلي: هو المهذب للعقائد في الأصول والفروع. (العلامة الحلي، ١٤١٧هـ، ٢٤٩)

وله كثير من المؤلفات في مختلفات الموضوعات، فكتبه الكلامية عبارة عن: الاقتصاد الهادي إلى طريق الإرشاد، والاقتصاد فيما يتعلّق بالاعتقاد، وتمهيد الأصول في علم الكلام، والغيبة، وتلخيص الشافي، ورسالة الاعتقادات، ورسالة عقايد الجعفرية، ورسالة المسائل الكلامية، ومقدمة في المدخل إلى علم الكلام، والمفصح في إمامة أمير المؤمنين والأئمة، والفرق بين النبي والإمام. وهو قد بين المباحث الكلامية في كثير من المواضع في كتابه التبيان، حيث اعتقد البعض أنّ هذا التفسير كلامي. (زارع، ١٣٩٢ش، ٥٧-٦٠)

كان لكرسي علم الكلام في بغداد أهمية بالغة، وعادة يفوض إلى أعلم الناس من جانب الخليفة. (بادنامه، ٤٦٣-٤٧)، وقد منح الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٩٧-٤٢٢ هـ) كرسي الكلام إلى الشيخ الطوسي، وكان هذا الكرسي لا يعطى إلا للقليلين من كبار العلماء ولرئيس علماء الوقت. (الطوسي، ١٤١٧هـ، ٣/١-٤ و٢٥) ولم يكن منهج الشيخ في المناقشات الكلامية هو الهجوم والجدال والتعابير الوقحة والمسيسة للخصوم. هذه الرزانة في قلم الشيخ وكلامه وهذا الرأي السديد هو سرّ نجاحه وشعبيته. (بادنامه، ٥٠٣/٣). أمّا تفاعله مع السنة فكان أكثر من تفاعل علماء الشيعة الآخرين، بحيث أثر هذا الارتباط بشكل واضح على أفكاره وأعماله. (باراني، ١٣٩٢ش، ٨٧)، ويمكن القول أنّ هذا العصر (أي قبل ظهور السلاجقة) كان عصر ازدهار المباحث الكلامية في بغداد، وكانت المصادر لكبار مفكرّي الفرق والنحل الكلامية في هذا العصر سهل التناول، ممّا جعل الشيخ الطوسي يقف على آراء هؤلاء الفرق بلا واسطة ومباشرة ولا ينسب إليهم معتقدات باطلة ومزوّرة، ولعلّ السبب في كون تفسير التبيان من أهمّ مؤلفاته وكبير التفاسير الشيعية وجود الدراسات الكلامية فيه، فقد كتبه في بغداد ومتأثراً بتلك الأجواء. (زارع، ١٣٩٢ش، ٦٠-٦١)، وبعد ظهور السلاجقة كان المستهدف الأول من بين أهدافها الشيعة ومدارسها ودور علمها وأعلامها، وفي سنة ٤٤٨ هـ اشتدت الفتن وبلغ العنف والقتل والإحراق ذروته، وبعد أن أحرقت دور الشيعة وبعض محالها وصلت النوبة إلى الشيخ الطوسي، فقد كبست داره ونهبت وأحرقت، كما وأحرقت كتبه وآثاره ودفاتره، وأحرق كرسي التدريس الذي كان قد منحه إياه الخليفة، وقتل أبو عبد الله الجلاب (من علماء الشيعة) على باب دكانه. (الطوسي، ١٤١٧هـ، ٢٦/١)

نتائج البحث

خرج البحث بعدة نتائج، وهي:

١. يعدّ ظهور مدرسة المعتزلة وتأسيسها وامتداد تعاليمها ومبانيها الفكرية حدث من الأحداث التاريخية المصرية في تاريخ الفكر الإسلامي.
٢. أحد الجوانب الذي يربط بين الشيعة والمعتزلة، هو الارتباط الكلامي، فقد كان هناك التأثير والتأثر في بعض القضايا بين الشيعة والمعتزلة.
٣. يمكن تقسيم الوشائج والعلاقات الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والعلمية بين المعتزلة والشيعة إلى ثلاث مراحل: مرحلة العداوة والخلاف، ومرحلة الصداقة والتصافي، ومرحلة انصهار الاعتزال في التشيع. ففي نهاية الأمر انخرط الفكر المعتزلي تحت مظلة الفكر الشيعي.
٤. تلعب حوارات وجهود الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي مع المعتزلة دوراً أساسياً في تاريخ الفكر الإسلامي وثقافته العلمية.

المصادر

١. ابن أبي الحديد، شرح نوح البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار إحياء الكتب العربية.
٢. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر- دار بيروت، ١٣٨٦ ق/ ١٩٦٦ م.
٣. ابن حجر، لسان الميزان، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠ ق/ ١٩٧١ م.
٤. ابن داود الحلبي، رجال ابن داود، تحقيق السيد محمد صادق آل بحر العلوم، قم، منشورات الرضي، ١٣٩٢ هـ.
٥. ابن طاووس، كشف المحجّة لثمره المهجّه، نجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٧٠ ق.
٦. ابن عسّاك، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي شيري، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ ق.
٧. ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ ق/ ١٩٨٨ م.
٨. أبو الحسين الخطّاط، الانتصار والرّد على ابن الراوندي الملحد ما قصد به من الكذب على المسلمين و الطعن عليهم، تحقيق نبرج، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٢٤٤ ق.
٩. أبو الحسين محمد بن أحمد المطلي، التنبية والرّد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: س. ديدرنيغ، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، ١٤٣٠ ق/ ٢٠٠٩ م.
١٠. أبو العباس النجاشي، فهرست أسماء مصنفي الشيعة، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، الخامسة، ١٤١٦ ق.
١١. أبو جعفر الإسكافي، المعيار والموازنة، تحقيق محمد باقر المصمودي، ١٤٠٢ ق/ ١٩٨١ م.
١٢. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
١٣. أبو منصور الثعالبي، بئمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق و شرح مفيد محمد قمحية، بيروت، دار الكتب العلمية،

- ١٤٠٣ ق/ ١٩٨٣ م.
١٤. أحمد أمين، ضحى الإسلام، القاهرة، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة.
١٥. أحمد بن تيمية، منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة القرطبة، الأولى، ١٤٠٦ ق.
١٦. أحمد بن يحيى بن المرتضى، طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفلد وفلزر، بيروت، دار المكتبة الحياة.
١٧. أحمد على زهرة، الكلام و الفلسفة عند المعتزلة والخوارج، دمشق، نينوى، ٢٠٠٤ م.
١٨. آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمه محمد عبدالمهدي أبوريده، بيروت، دار الكتاب العربي، الخامسة.
١٩. تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي، بيروت، مؤسسة أهل البيت :، ١٤٠١ ق.
٢٠. جعفر سبحاني، الملل والتحلل، قم، مؤسسة النشر الإسلامي ومؤسسة الإمام الصادق ٧.
٢١. جوتل كرم، احياء فرهنگي در عهد آل بويه: انسان گراني در عصر رنسانس اسلامي، ترجمة سعيد حنايي، تهران، مركز نشر دانشگاهي، ١٣٧٥ ش.
٢٢. حنا الفاخوري و خليل الجر، تاريخ فلسفة در جهان اسلامي، ترجمة عبد المحمد الآيتي، تهران، سازمان انتشارات و آموزش انقلاب إسلامي، الثالثة، ١٣٦٧ ش.
٢٣. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دارالكتب العلمية، ١٤١٧ق/١٩٩٧م.
٢٤. خليل بن ابيك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق احمد ارناؤوط و تركي مصطفى، بيروت، دار احياء التراث، ١٤٢٠ ق.
٢٥. ربيع، على نامه (منظومه‌اي كه‌ن سروده به سال ٤٨٢ ق)، تحقيق رضا بيات و ابوالفضل غلامي، طهران، مركز پژوهشي ميراث مكتوب، ١٣٨٩ ش.
٢٦. رسول جعفريان، حيات فكري و سياسي امامان شيعة، قم، أنصاريان، ١٣٨٧ش.
٢٧. رسول جعفريان، مناسبات فرهنگي معتزلة و شيعة تا آغاز دوره انحلال معتزلة در شيعة، طهران، مركز چاپ و نشر سازمان تبليغات إسلامي، ١٣٧٢ ش.
٢٨. السيد المرتضى، الشافي في الإمامة، تحقيق سيّد عبدالزهراء الحسيني، طهران، مؤسسة الصادق ٧، ١٤١٠ ق.
٢٩. السيد المرتضى، الفصول المختارة، تحقيق سيّد نورالدين جعفريان ويعقوب الجعفري و محسن أحمددي، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤ ق/ ١٩٩٣ م.
٣٠. السيد المرتضى، الأمالي، تحقيق سيد محمد بدر الدين نعلساني الحلبي، قم، مكتبة آية الله المرعشي، ١٣٢٥ق/١٩٠٧م.
٣١. الشيخ الصدوق، التوحيد، تحقيق السيّد هاشم الحسيني الطهراني، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.
٣٢. الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا ٧، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٤ ق/ ١٩٨٤ م.
٣٣. الشيخ الطوسي، العدة في أصول الفقه، تحقيق محمد رضا الأنصاري القمي، قم، الأولى، ١٤١٧ ق.
٣٤. الشيخ الطوسي، الفهرست، تحقيق الشيخ جواد القيومي، قم، مؤسسة نشر الفعاهة، الأولى، ١٤١٧ ق.
٣٥. الشيخ الكليني، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، طهران، دار الكتب الإسلامية، الخامسة، ١٣٦٣ ش.

٣٦. الشيخ المفيد، المسائل الصاغانية، تحقيق السيد محمد القاضي، بيروت، دار المفيد، الثانية، ١٤١٤ ق.
٣٧. عبد الرحمان بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الرابعة.
٣٨. عبد الرحمن بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢ ق/ ١٩٩٢ م.
٣٩. عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تحقيق خليل المنصور، بيروت، دارالكتب العلمية، الأولى، ١٤١٧ ق.
٤٠. العلامة الحلبي، خلاصة الأقوال، تحقيق الشيخ جواد القيومي، قم، مؤسسة نشر الفقاهة، الأولى، ١٤١٧ ق.
٤١. علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الإسكندرية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٩ ق/ ٢٠٠٨ م.
٤٢. علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، قم، دار الهجرة، الثانية، ١٣٦٣ ش/ ١٤٠٤ ق.
٤٣. فضل بن شاذان الأزدي، الإيضاح، تحقيق سيّد جلال الدين الحسيني الأموي، طهران، جامعة طهران، ١٣٦٣ ش.
٤٤. القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تعليق أحمد بن حسين أبي هاشم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الأولى، ١٤٢٢ ق.
٤٥. القاضي عبد الجبار، المنية والأمل، تحقيق سامي النشار وعصام الدين محمد، الإسكندرية، دار المطبوعات الجامعية، ١٩٧٢ م.
٤٦. القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة تحقيق فؤاد سيّد، تونس، ١٣٩٣ ق.
٤٧. القاضي عبد الجبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد سيّد، تونس، ١٣٩٣ ق.
٤٨. كارل بروكلمان، تاريخ ملل و دول إسلامي، ترجمة هادي جزائري، طهران، بنگاه ترجمه و نشر كتاب، ١٣٤٦ ش.
٤٩. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ ق/ ١٩٨٧ م.
٥٠. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ ق/ ١٩٨٦ م.
٥١. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، العبر في خبر من غير، تحقيق فؤاد سيّد، التراث العربي، ١٩٦١ م.
٥٢. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ميزان الاعتدال، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة، ١٣٨٢ ق/ ١٩٦٣ م.
٥٣. محمد رضا باراني، برسي تاريخي تعامل فكري و سياسي اماميه با فرقههاي معتزلة، حنابلة و اشاعرة در عصر آل بويه در بغداد، قم، پژوهشگاه حوزه و دانشگاه، الأولى، ١٣٩٢ ش.
٥٤. محمد صالح محمد السيّد، الحيز و الشر عند القاضي عبد الجبار، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨ م.
٥٥. محمد جواد مغنبة، الشيعة في الميزان، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٣٩٩ ق/ ١٩٧٩ م.
٥٦. مريم كيان فريد، كلام معتزلة كلام شيعة پژوهشي مقايسه اي بر مبناي متون قرنهاي چهارم و پنجم، قم، دانشگاه آديان و مذاهب، الأولى، ١٣٩٣ ش.

۵۷. مهدي محقق، شيعه در حديث ديگران، تهران، دفتر دايرة المعارف تشيع، ۱۳۶۲ش.
۵۸. مهدي كمپاني زارع، طوسي پژوهي (مجموعه مقالاتي در بررسي آراء، احوال و آثار شيخ طوسي)، تهران، خانه كتاب، ۱۳۹۲ش.
۵۹. نجاح محسن، الفكر السياسي عند المعتزلة، القاهرة، دار المعارف، ۱۹۹۶ م.
۶۰. يادنامه شيخ طوسي أبو جعفر محمد بن حسن طوسي، به كوشش محمد واعظ زادة خراساني، مشهد، دانشگاه مشهد، اول، ۱۳۵۰ش.